مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

eISSN: 2600-7096

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

مجلة علمية محكمة ، ربع سنوية

Vol : 8 Issue : 3 Year : 2024 السنة: 2024 العدد: 3 المجلد: 8

في هذا العدد:

- السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس عليه السلام دراسة لبعض السُّنن وتنزيلها على الواقع والهدايات المستخلصة
  سلوى عبد الرحمن عبد الله العبد الله
- الانحراف الأخلاقي المتعلّق بالقلب وطرق علاجه في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية تحليلية
  أحمد سيد عبد الحافظ دسوقي ، عبد العالي باي زكوب
- حِكَم اقتران اسم الله (اللطيف) باسمه (الخبير) في السياق القرآني: دراسة موضوعية
  سامية عطية الله المعبدي
- الرواة المتكلم فيهم ممن وثقهم الحاكم وصحح أحاديثهم على شرط الشيخين أو أحدهما وما في معنى ذلك، من أول الكتاب حتى الحديث رقم (60):جمعا ودراسة
  أشرف صلاح علي علي ، أشرف زاهر
- أنماط الخطاب الشرعي في مواجهة الاستبداد السياسي– قسم القضاء والسياسة
  ابراهيم الحسون ، مجدي عبد العظيم
- المآخذ المنهجية والعلمية على كتاب التخريج للزنجاني: دراسة نقدية
  صالح سالم أحمد العمري ، عيسى ناصر السيد
- العنف في تربيه الأبناء: دراسة مقارنة من منظور القيم الإسلامية والقيم التربوية الحديثة والاتفاقيات الدولية
  مني فاروق محمد أحمد موسي
- منهج الإمام القرضاوي في تجديد فقه الحدود (الرجم، الردة، شرب الخمر، تارك الصلاة: دراسة تحليلية
  حسن يوسف داري
- دور الوقف في تحقيق التنمية الاقتصادية والعلمية في المجتمع
  محمود عبده البزيعي
- الحوار الإسلامي المسيحي وتطوّر علم اللاهوت: يوحنّا الدّمشقي نموذجا
  سحر ناصر اليامي
- المسائل العقدية المتعلقة ببعض أصناف أهل الكتاب سلما وحرب
  محمد نعيم خان بن أحمد شاه خان ، محمد السيد البساطي
- الحوار السياسي في منظور الإسلام: ضوابط التقويم وشروط الترشيد
  منيره جار الله المري
- المرأة في الشريعة الهندوسية من خلال قانون منو سمرتي
  علاء الدين محمد أسماعيل
- مفهوم ضبط النفس بين الثقافة الإسلامية والنظريات الغربية
  منى مجدي حريري
- منهج المفكر محمد عِمارة (1931–2020م) وأثره في معالجة الآخر في الإطار الإسلامي: دراسة تحليلية
  عامر علي النعيمي
- دعوى الاستغناء عن الدين أسبابه ودعائمه الفلسفية: دراسة نقدية
  محمد خير حسن محمد العمري
- تاريخ المشترك والمختلف الحضاري
  نوره محمد البريص المري
- موقف المخالفين من الصراط: دراسة نقدية
  حنان عطية الله المعبدي

تصدرها

PUBLISHED BY

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES

AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

جامعة المدينة العالمية

Al-Madinah International University

eISSN 2600-7096

9 772600 709003

International Islamic Sciences Journal
Al-Madinah International University, Malaysia
Vol. 8, Issue. 3, September 2024
eISSN: 2600-7096
Submission date: 21\9\2024
Accepted date: 27\9\2024
Published date: 27\9\2024
Copyright © 2024 Salwa AbdulRahman Abdullah al-Abdullah

THE DIVINE RULES IN CHAPTER OF YUNUS: A STUDY OF SOME OF THE RULES, THEIR PRACTICAL APPLICATION, AND THE EXTRACTED GUIDANCE

Salwa AbdulRahman Abdullah al-Abdullah
Master Researcher in the Department of Tafsir and Science of the Qur'an
Faculty of Shari'ah and Islamic Studies
Qatar University
salwa_liamtoh@hotmail.com

.

ABSTRACT

Allah created this universe and designed for it a consistent system which cannot be changed or substituted. To understand this system, it is imperative to know its rules which are technically known as the divine rules. This research seeks to highlight some divine rules in the Chapter of Yunus. It shall mention its major guidance after its practical application using the inductive and analytical methodology. Through this methodology, verses shall be studied, divine rules collated, meanings of these verses analyzed, and their role in guiding the behaviors of individuals and society studied. It shall also use the inductive methodology to deduce major guidance of the divine rules. The research gives an overview of the Chapter of Yunus and defines the concept of the divine rules. It also highlights major divine rules in the Chapter of Yunus, their guidance and practical application. In addition, it explains main divine rules in the chapter under review, namely: 1) the rule on reward for action; 2) the rule of Allah that gives the unjust people grace period (to repent); 3) the rule on trial; 4) the rule of Allah on sustenance; and 5) the rule on guidance and misguidance. Thereafter, these rules are put into practical application and their major guidance is stated. Then, it concludes with a recommendation that remaining divine rules in the chapter of Yunus and in other chapters should be studied because of their significance in the life of individuals, societies, and nations .

.**Keywords***: Rules, Laws, Divine, Chapter of Yunus*

مجلة العلوم الإسلامية الدولية
جامعة المدينة العالمية-ماليزيا
المجلد.8، العدد 3، سبتمبر 2024
ردمد: 2600-7096
تاريخ التقديم: 2024\9\21:
تاريخ القبول: 2024/9/27:
تاريخ النشر:2024/9/27
حقوق النشر © 2024 سلوى عبد الرحمن عبد الله العبد الله

السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس عليه السلام: دراسة لبعض السُّنن وتنزيلها على الواقع والهدايات المستخلصة

سلوى عبد الرحمن عبد الله العبد الله

باحثة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر

الملخص

إن الله خلق هذا الكون وجعل له نظاماً ثابتًا، لا يتغير ولا يتبدل، ولفهم هذا النظام لابد من معرفة قوانينه، والتي تُعرف بالسُّنن الإلهيَّة. وقد جاء هذا البحث ليبرز بعض السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس ﷺ، ويذكر أهم هداياتها بعد تنزيلها على الواقع، باستخدام المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بتتبع الآيات وجمع السُّنن، وتحليل معاني هذه الآيات ودراسة تأثيرها في توجيه سلوك الأفراد والمجتمعات، وكذلك المنهج الاستنباطي، باستنباط أهم هدايات السُّنن، فتعرضت الباحثة للتعريف بسورة يونس ﷺ، وبالسُّنة الإلهيَّة، وانتهاء بإبراز أهم السُّنن الإلهيَّة في السورة، هداياتها، وتنزيلها على الواقع، وقد خلص البحث أخيرًا إلى بيان أهم السُّنن في السورة وهي: الأولى: سُنَّة الجزاء على الأعمال. الثانية: سُنَّة إمهال الله الظالمين. الثالثة: سُنَّة الله في الابتلاء. الرابعة: سُنَّة الله في الرزق. الخامسة: سُنَّة الهداية والضلال. ثم تنزيلها على الواقع، وذكر أهم هداياتها، وأوصت الباحثة باستكمال دراسة السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس ﷺ وبقية السور؛ لما لذلك من أهمية في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم.

الكلمات المفتاحية: السُّنن، القوانين، الإلهيَّة، سورة يونس.

مقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

السُّنن الإلهيَّة هي القوانين الثابتة التي وضعها الله تعالى لتنظيم هذا الكون والخلق؛ فلا يقع شيء في هذا الكون إلا بقدر الله تعالى وحكمته، فموضوع السُّنن الإلهيَّة مهمٌ في ذاته من هذا الجانب، وهو تعلقه بالله وبأفعاله الذي هو موضوع سورة يونس عليه السلام، ومهمٌ أيضًا في الواقع من جانب فهمها بنظرة أكثر شمولية، فلا يعيش الإنسان اليأس والإحباط بانحصاره في الأحداث؛ فدراسة السُّنن الإلهيَّة تكمن أهميتها في حل مشكلات الأفراد والمجتمعات، وانطلاقًا من هذا، فقد آثرت دراسة موضوع السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس عليه السلام ببيان بعض منها، وذكر هداياتها، وكيف يمكن الاستفادة منها في واقعنا المعاصر.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدم إدراك أهمية السُّنن الإلهيَّة التي وردت في القرآن الكريم؛ ففهمها في سياق الآيات في مختلف سور القرآن قد لا يكون واضحًا تمامًا للكثيرين، ومنها سورة يونس عليه السلام المتضمنة لسنن تحكم حياة الأمم والأفراد، فينبثق من هذه المشكلة سؤال رئيس يقوم عليه هذا البحث هو: ما السُّنن الإلهيَّة التي تضمنتها سورة يونس عليه السلام؟ وكيف يمكن تفسيرها وربطها بأحداث وواقع الحياة المعاصرة؟، ويتفرَّع عن هذا السؤال سؤالان:

- ما المقصود بالسُّنن الإلهيَّة في القرآن الكريم؟
- ما أهم الهدايات المستنبطة من السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس عليه السلام؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

1. معرفة مفهوم السُّنن الإلهيَّة في القرآن الكريم.
2. استخراج السُّنن الإلهيَّة من سورة يونس عليه السلام.
3. تنزيل السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس على الواقع للاستفادة منها.
4. استنباط أهم الهدايات من السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس عليه السلام.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث فيما يأتي:

1. تحقيق مقصد الاهتداء الذي أُنزل القرآن من أجله من خلال فهم السُّنن الإلهيَّة وكيفية تطبيقها.
2. توضيح مفهوم السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس عليه السلام ودورها في تشكيل القصص القرآني.
3. التنبيه على أهم الدروس والعبر المستفادة من آيات السُّنن في سورة يونس عليه السلام.
4. تتزيل السُّنن الإلهيَّة على الواقع له أهمية بالغة في إدراك معناها، وتوظيفها لحل المشكلات التي تواجه الأفراد والمجتمعات.
5. يُسهم البحث في تنمية مهارة الاستنباط والتحليل عند الباحثة، من خلال تتبع الآيات وفهمها.

منهج البحث:

اعتمدت في كتابة هذا البحث على المناهج التالية:

1. المنهج الاستقرائي: وذلك في جمع ودراسة بعض الآيات المتعلقة بالسُّنن الإلهيَّة في سورة يونس عليه السلام.
2. المنهج التحليلي: وذلك في تحليل معاني هذه الآيات ودراسة تأثيرها في توجيه سلوك الأفراد والمجتمعات.
3. المنهج الاستنباطي: وذلك في استخراج الهدايات القرآنية من السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس عليه السلام.

الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات عن السُّنن الإلهيَّة من خلال القرآن بشكل عام، أو بذكر سُنَّة من السُّنن، وجلب بعض الآيات الموضحة لها، لكن اهتمام الباحثين بدراسة السُّنن الإلهيَّة في سورة معيّنة قليل جدًا، كما أني لم أجد دراسة مختصة بسورة يونس عليه السلام، وسأذكر بعضًا من هذه الدراسات:

أولاً: السُّنن الإلهيَّة في سورة يوسف عليه السلام هداياتها وتتزيلها على الواقع، الدكتور يوسف بن زيدان بن مزيد السلمي، 2018مـــ، **مجلة الدراسات العربية**، تيماء، (38) صفحة.

هذا البحث استلهمت منه عنوان بحثي، فهي دراسة ليست بالطويلة، تطرق فيها الباحث بعرض مقدمات عن سورة يوسف، وتمهيد للسُّنن الإلهيَّة من حيث تعريفها، وأهميتها، وطريقة عرضها في القرآن، ثم خصص مبحثًا للسُّنن الإلهيَّة في سورة يوسف عليه السلام، وفيه أربعة عشر مطلبًا، في كل مطلب ذكر سُنَّة من السُّنن الواردة في سورة يوسف، وقام بتتزيلها على الواقع، ثم ذكر هداياتها، وهذا ما كان يهدف إليه في بحثه، وختمه بنتائج من أهمها: أن هذه السُّنن الإلهيَّة ينبغي أن تصبح عِلمًا يُعلّم ويُدرَّس ويُدوَّن لنأخذ منها هداية وموعظة.

وهذا البحث استفدت منه في صناعة بحثي، غير أن السُّنن تختلف باختلاف موضوع السورتين: سورتي يوسف ويونس عليهما السلام.

ثانياً: السُّنن الإلهيَّة في سورتي الإسراء وفاطر، ديانا صاحب محمود الصاحب، 2018 مـــ، جامعة الخليل، فلسطين، (257) صفحة.

هذه رسالة لنيل درجة الماجستير، احتوت على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

ابتدأت الباحثة رسالتها بتأصيل عن موضوع السُّنن الإلهيَّة في الفصل الأول، وانتقلت بعدها إلى دراسة السُّنن الإلهيَّة في سورة الإسراء، وفي آخر فصل تتبَّعت بعض السُّنن الإلهيَّة في سورة فاطر، وختمت بأهم النتائج التي توصلت إليها، ومنها وجود سُنن مشتركة بين السورتين مثل: سُنَّة الله عز وجل في بعث الأنبياء وعقاب الأمم الجاحدة، و سُنَّة الله في الهداية والضّلال، و سُنَّة الجزاء من جنس العمل.

ويمكن الاستفادة من المطلب الخامس في هذا البحث وهو سُنَّة الله ـــــ عز وجل ـــــــ في الهداية والضلال المندرج تحت مبحث السُّنن الإلهيَّة في سورة الإسراء، وتبيّن لي أن بحثي يختلف عما أرادت الباحثة إبرازه في بحثها، فالباحثة بعد التمهيد للسورة، تجمع الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر السُّنن والمتعلقة بموضوع البحث، وتضع كل آية تحت العنوان المناسب، ثم تفصّل في تفسير هذه الآيات من كتب التفسير دون إبراز لجانب تنزيلها على الواقع، وبيان هداياتها، كما هو الحال في بحثي.

ثالثاً: السُّنن الإلهيَّة في سورة آل عمران، أمين يوسف الأميري، 2020، **مجلة البيان**، (6) صفحات.

هذا المقال استعرض السُّنن الإلهيَّة في سورة آل عمران في صفحات معدودة. فاستهل بتعريف السُّنن، ثم تناول ثلاث سُنن، وهي السُّنة الأولى الأخذ بالذنوب، والسُّنة الثانية إيتاء الملك ونزعه أو سُنَّة التداول الأممي، والسُّنَّة الثالثة الابتلاء، وفي ثنايا المقال نلاحظ ربط السُّنن بالواقع اليوم.

ويمكن الاستفادة منه في سُنَّة الابتلاء، وكذلك كيفية تنزيلها على الواقع، غير أن بحثي يتناول موضوع السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس بطريقة علمية منهجية.

رابعاً: السُّنن الإلهيَّة في سورة الأحزاب: دراسة موضوعية، الدكتور بكار الحاج جاسم، 2021، **مجلة المرقاة للدراسات والبحوث الإسلامية**، تركيا، (34) صفحة.

جاءت خطة هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

اشتمل التمهيد على تعريف السُّنن الإلهيَّة، وفي المباحث الخمسة بيّن أهم السُّنن الإلهيَّة المتضمنة في سورة الأحزاب، وقسّمها حسب ارتباطها؛ فجعل المبحث الأول في السُّنن الإلهيَّة المرتبطة بالنبي –صلى الله عله وسلم – ثم السُّنن الإلهيَّة في أهل البيت، يليه السُّنن الإلهيَّة في المنافقين، ثم في المؤمنين، وأخيرًا سُنَّة الأمانة، وأدرج تحت كل مبحث مطالب فصّل فيها السُّنن.

يمكن الاستفادة من هذا البحث في كيفية ربط السُّنن ببعضها، وبحثي يختلف عن هذا البحث في أنه يبرز جانب ربط السُّنن بالواقع، وكذلك الهدايات المتعلقة بالسُّنن.

بعد استعراض هذه البحوث أجد أن بحثي يختلف عن كل بحث منها في اختيار السورة التي أُجريت عليها الدراسة، وهي سورة يونس عليه السلام، مع أن جميع هذه البحوث مع اختلاف موضوعاتها حسب موضوع السورة تهدف إلى بيان أهمية السُّنن الإلهيَّة في حياة الإنسان.

المبحث الأول: مدخل إلى سورة يونس عليه السلام

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها وترتيبها وسبب نزولها

اسم السورة: سورة يونس، وسميت بهذا الاسم؛ لأنها انفردت بذكر خصوصيةٍ لقوم يونس، أنهم آمنوا بعد أن توعدهم رسولهم بنزول العذاب، فلما آمنوا عفا الله عنهم[1]. **وعدد آياتها:** مائة وتسع آيات عند أكثر الأمصار، ومائة وعشر عند أهل الشام[2]. **وترتيبها:** هي السورة الحادية والخمسون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الإسراء وقبل سورة هود[3].

أسباب النزول: "قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ ﴾ (يونس:2) **قال ابن عباس:** لما بعث الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم رسولًا أنكرت عليه الكفار، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا مثل محمد فأنزل الله هذه الآية"[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ (يونس:15) ذكر **مجاهد** أنها نزلت في مشركي مكة، وأما **مقاتل** فذكر أنها نزلت في خمسة نفر، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : "ائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى"، وأما **الكلبي** فذكر أنها نزلت في المستهزئين، قالوا: "يا محمد ائت بقرآن غير هذا فيه ما نسألك"[5].

المطلب الثاني: محور السورة وموضوعاتها:

محور السورة: هو تقرير أصول عقائد الإسلام[6]. **موضوعاتها:** تتحدّث السورة عن أصول عقائد الإسلام، وعلى رأسها توحيد الله تعالى، والوحي والرسالة، والبعث والجزاء، وما يتضمنها من صفاته تعالى وأفعاله وتنزيهه وآياته وسننه في خلقه، وشئون البشر في صفاتهم وعاداتهم وأعمالهم، ومحاجة مشركي مكة في ذلك كله، وبالأخص هداية القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والعبرة بأحوال الرسل مع أقوامهم[7].

---

1 ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج11، ص77.

2 ينظر: المصدر نفسه، ج11، ص78.

3 ينظر: المصدر نفسه، ج11، ص78.

4 الواحدي، أبو الحسن علي بن محمد النيسابوري، **أسباب نزول القرآن**، ص264، الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، رقم17527، ج15، ص13، إسناده منقطع. يقول الواحدي: "أخرجه ابن جرير (58/11) وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ (فتح القدير: 424/2) من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده منقطع، فإن الضحاك لم يلق ابن عباس".

5 ينظر: الواحدي، **أسباب نزول القرآن**، ص264.

6 ينظر: محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج11، ص494.

7 ينظر: المصدر نفسه، ج11، ص494.

المبحث الثاني: السُّنن الإلهيَّة وطريقة عرضها في القرآن

المطلب الأول: تعريف السُّنن الإلهيَّة لغة واصطلاحًا

السُّنَّة في اللغة:

تعددت وجوه استعمال لفظ "السُّنَّة" في اللغة، إلا أنّها ترجع إلى أصل واحد وهو: **الجريان والاطراد**[1]، كما ذكره ابن فارس بقوله: "(سنّ) السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي أسُنُّهُ سَنًّا، إذا أرسلته إرسالًا. ثم اشتق منه: رجل مسنون الوجه...ومما اشتق منه السُّنَّة، وهي السيرة...وإنّما سميت بذلك لأنها تجري جريًا. ومن ذلك قولهم: امض على سَنَنِكَ وسُنَنِكَ، أي: وَجْهِكَ. وجاءت الريح سنائنَ، إذا جاءت على طريقة واحدة."[2]، وجاء في لسان العرب: "والسُّنّة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة"[3]، ويقول الجرجاني: "السُّنّة: في اللغة: الطريقة، مرضية كانت أو غير مرضية"[4]، فاستعمال لفظ "السُّنَّة" في الغالب يأتي على معنى: **السيرة، والطريقة**[5].

السُّنَّة في الاصطلاح:

إن معنى السُّنن الإلهيَّة في القرآن الكريم لا يكاد يخرج عن معناه اللغوي. يقول ابن منظور: "وسُنَّة الله: أحكامه وأمره ونهيه، وسنّها الله للناس: بيّنها. وسَنَّ الله سُنَّة أي: بيّن طريقًا قويمًا. قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ﴾(الأحزاب:62)"[6]، وقال الراغب: " وسُنَّة الله تعالى: قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته، نحو: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ (الفتح:23)، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا

---

1 الاطراد من سمات سُنَّة الله، بالإضافة إلى الثبات والعموم. ينظر: عبدالكريم زيدان، **السُّنن الإلهيَّة في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، ص14.

2 ابن فارس، أبو الحسين أحمد، **مقاييس اللغة**، ج3، ص60-61.

3 ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، ج13، ص225.

4 الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، **التعريفات**، ص122.

5 يقول البطيوي: " ومما يستفاد من كلام ابن فارس أن الجريان والاطراد هو الأصل في دلالة لفظ السُّنَّة، ثم تولدت عنه أصول دلالية أخرى وتفرع بعضها عن بعض، فتولد عن الجريان والاطراد معنى الوجه والصورة، ثم تحول هذا الفرع إلى أصل لتتفرع منه معاني الصقالة والوضوح والبيان، ثم ما لبث أن صار هذا الفرع أصلًا لمعنى جديد تولد عنه هو الدوام والسهولة والتوالي، وبعد ذلك صار هذا الفرع أصلًا لمعنى أصبح فيما بعد هو الأبرز وهو معنى السيرة والطريقة والمثال"، ينظر: عزيز البطيوي، **سنن العمران البشري في السيرة النبوية**، ص50.

6 ابن منظور، **لسان العرب**، ج13 ، ص225.

﴾ (فاطر:43)، وفي الآية تنبيه أن فروع الشرائع وإن اختلفت صورها فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل، وهو تطهير النفس، وترشيحها للوصول إلى ثواب الله تعالى وجواره"[1]، ويعرفها ابن عاشور بقوله: "والسُّنن جمع سُّنة وهي السيرة من العمل أو الخلق الذي يلازم المرء صدور العمل على مثالها"[2].

المطلب الثاني: أهمية السُّنن الإلهيَّة

تظهر أهمية معرفة السُّنن الإلهيَّة في كونها أدوات تُعين على فهم الواقع؛ فبالسُّنن نتمكن من دراسة أحداث الأمس، وتحليل أحداث اليوم، جاء عن المؤرخ ابن الأثير أنه لا يحدث للإنسان أمر إلا وقد حدث مثله أو نظيره في الماضي فيزداد نضج عقله ويصبح أهلًا أن يُقتدَى به[3]. وقد عدّ البعض دراسة السُّنن الإلهيَّة علمًا مطلوبًا، كما بيّن ذلك رشيد رضا في أنه يجب على الأمة أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غيره من العلوم[4]، وقال الغزالي في بيان القسم المحمود من العلم: "فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسُنَّته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة."[5] فنجد أن الغزالي قرنه بالعلم عن الله عز وجل، وذلك لما له من أهمية في هداية الخلق وصلاح أحوالهم؛ حيث هو المقصد الرئيس من إنزال القرآن، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء:9).

إن العلم بالسُّنن الإلهيَّة وفهمها يحقق معنى الاستخلاف في الأرض المأمور به الإنسان، يقول سيد قطب: "إن هناك سننًا ثابتة في هذا الكون يملك الإنسان أن يعرف منها القدر اللازم له، حسب طاقته وحسب حاجته، للقيام بالخلافة في هذه الأرض. وقد أودعه الله القدرة على معرفة هذا القدر من السُّنن الكونية، وعلى تسخير قوى الكون وفق هذه السُّنن للنهوض بالخلافة، وتعمير الأرض، وترقية الحياة، والانتفاع بأقواتها وأرزاقها وطاقاتها"[6].

---

1 الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ص429.

2 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج4، ص96.

3 ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الواحد الشيباني الجزري، **الكامل في التاريخ**، ج1، ص10.

4 ينظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج4، ص114.

5 الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، ج1، ص39.

6 سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص1119.

وكذلك فإن العلم بالسُّنن الإلهيَّة تُصحح عقيدة الإنسان، وتُعرِّفه بأن هذا الكون له ربٌّ وجب إفرادَه بالألوهيَّة والربوبية؛ فهو يسير وفق نظام لا يتغير ولا يتبدل أبدعه الخالق عز وجل، فوجب العمل بمقتضى هذا الإيمان الذي يبث الطمأنينة في النفس البشرية.

المطلب الثالث: السُّنن الإلهيَّة في القرآن

إنّ المنهل الأساس لمعرفة السُّنن الإلهيَّة إنّما هو القرآن الكريم، كما أنه اختُص به فلم يَرد في كتاب سماوي آخر، وفي ذلك يقول رشيد رضا: "هذا إرشادٌ إلهيٌّ، لم يُعهد في كتابٍ سماويٍّ، ولعله أُرجئَ إلى أن يبلغَ الإنسان كمال استعداده الاجتماعي، فلم يَرد إلا في القرآن، الذي ختم الله به الأديان"[1].

إن اعتناء القرآن بموضوع السُّنن الإلهيَّة يظهر في كثرة الآيات التي تأمر بالسير في الأرض والنظر في أحوال السابقين، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الروم:42)، وكثرة ورود القصص القرآني؛ فإن من عرف تاريخ السلف من خلال ما قصّه القرآن ينبغي عليه الاتعاظ، فعند وقوفه على أحوال المؤمنين يعمل على ترسيخ إيمانه والصبر عند الشدائد، وعند وقوفه على أحوال الكفار ينبغي عليه الحذر من أن يحل به ما حلّ بهم من عواقب. كما جاءت آيات ترتب المسببات على أسبابها سواء أكان في الخير أم في الشر، والتعمير والتخريب لتقتدي الأمة وتحذر، قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ (النمل:52)[2]. فأصبحت بيوتهم خالية بهلاكهم بسبب ظلمهم، فلزم الاعتبار.

مما سبق نخلص إلى أن هذا القدر الكبير الذي أعطاه القرآن الكريم لتوضيح السُّنن الإلهيَّة وفهمها، وضرب الأمثلة عليها، ودعوة الناس للأخذ بها، كل ذلك يبيّن لنا مدى أهمية السُّنن الإلهيَّة[3]؛ فهي وسيلة لتحقيق مقصد الاهتداء الذي أُنزل القرآن من أجله.

---

1 رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج4، ص116.

2 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص66.

3 ينظر: حازم زكريا محي الدين، **مفهوم السُّنن الإلهيَّة في الفكر الإسلامي السيد محمد رشيد رضا أنموذجًا**، ص39.

المبحث الثالث: أهم السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس وهداياتها وتنزيلها على الواقع

المطلب الأول: سُّنة الجزاء على الأعمال

هذه سّنة من سنن الله الجارية، فالدنيا مزرعة الآخرة، فمن زرع خيرًا حصد خيرًا، ومن زرع شرًا حصد شرًا، سواء عُجّل له من الخير أو الشرّ في الدنيا أم جنى حصاده في الآخرة.

السُّنة الإلهيَّة في آيات السورة:

يقول ﷻ: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ (يونس:4) هذه الآية فيها بيان الحكمة من البعث وهي الجزاء على الأعمال المقتَرَفة في الدنيا[1]، فيجازي الله المؤمنين بالعدل، ويزيدهم من فضله كما وعد في آيات أخرى، منها قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس:26)[2] بالرغم من اختلاف العلماء في المراد بالحسنى والزيادة هنا إلا أن المعنى العام للآية لا خلاف فيه في أن المحسن سيجازى على إحسانه بأفضل ما يكون[3]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾(يونس:9) فهو سبحانه يرشدهم إلى العمل الصالح المؤدي إلى الجنة بسبب إيمانهم[4] ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ (يونس:10) لسقوط التكاليف عنهم في دار الجزاء[5]، كل ذلك الجزاء بسبب إيمانهم بالله، مقرنين ذلك بالعمل بمقتضى هذا الإيمان الذي رسخ في قلوبهم، وهذا متعلق بموضوع السورة من الإيمان بالله، وما يقتضي ذلك من عمل. وفي المقابل بيّن جزاء الكافرين بعد البعث أن لهم شرابًا من ماء حار، يشوي الوجوه، ويقطّع الأمعاء[6]، وعذاب شديد الألم، وفصّل

---

1 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج11، ص91.

2 ينظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج11، ص245.

3 يقول الماوردي: ﴿ لِّلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ فيه خمسة تأويلات: أحدها: أن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى. والثاني: أن الحسنى واحدة من الحسنات، والزيادة مضاعفتها إلى عشر أمثالها. والثالث: أن الحسنى حسنة مثل حسنة، والزيادة مغفرة ورضوان. والرابع: أن الحسنى الجزاء في الآخرة والزيادة ما أعطوا في الدنيا. والخامس: أن الحسنى الثواب، والزيادة الدوام. ويحتمل سادسًا: أن الحسنى ما يتمنونه، والزيادة ما يشتهونه"، لمزيد من التفصيل ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **النكت والعيون**، ج2، ص432-433.

4 ينظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج3، ص106.

5 ينظر: السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص358.

6 السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص357.

ذلك بقولـــه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾(يونس:7-8) فهم كل همهم في الدنيا، وعملـــهم لهـــا، وســـكنت نفوسهم وارتاحت قلوبهم بشهواتها ولذاتها، وأعرضوا عن آيات الله، فلا يتدبرون ما أُنزل منها وما فيها مـــن المواعظ والعبر، فأولئك جزاؤهم النار، ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا﴾ (يونس:27)، فالسيّئة بالسيّئة، لا يُزادون عليها شيئًا[1]. ويقول تعالى في جزاء المـــؤمنين المـــتقين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (يونس:62-64)، أما جزاء المفترين على الله: ﴿مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾ (يونس:70). فهذه آيات الجزاء تتعاقب في الســـورة؛ لتقرير هذه السُّنة.

تنزيل السُّنة على الواقع:

لا يظن العبد أنه إذا قام الليل والناس نيام، وصام النهار رجاء ما عند ربّ الأنام، وبَرَّ بوالدَيه، وأحسن إلى من أساء إليه، وأنفق من ماله وهو عزيز عليه أن الله سيضيع أجره، كيف ذلك؟! وهو القائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ (الكهف:30). وفي مقابل ذلك ممن كفر بالله أو ارتكب ما دون ذلك من المعاصي من كذب، وغيبة، ونميمة، وسرقة، وزنا، وقتل النفس بغير حـــق، وقـــذف المحصنات، والربا، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وغير ذلك، سيجازيه الله على أعماله، كلٌ بقـــدر مـــا اقترف.

الهدايات من السُّنة الإلهيَّة:

1. إثبات معتقد البعث والجزاء في الآخرة[2].
2. جزاء سيئة سيئة مثلها، وجزاء الحسنة أضعافًا مضاعفة.
3. بيان عدل الله عز وجل في محاسبة عباده.
4. بيان مكانة أولياء الله وخصائصهم.
5. أن الإيمان والعمل الصالح طريق الإنسان إلى الجنة.

---

1 ينظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج11، ص245، 251، 287.

2 ينظر: أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبدالقادر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج2، ص449.

6. خطورة الغفلة، والإعراض عن التفكر في آيات الله الكونية والقرآنية[1].

المطلب الثاني: سنة الله في إمهال الظالمين

سنة الله في إمهال الظالمين هي من قوانين الله في الكون، وهي تعني أن الله سبحانه وتعالى قد يمهل الكافرين والعاصين ولا يعجل لهم العقوبة مباشرة، ولكنه يمهلهم إلى أجل معلوم مقدر، وفي ذلك التأجيل رحمة لهم للتدارك والتوبة قبل أن يحل بهم العقاب. وهذه سنّة من سنن الله الجارية وفق حكمته سبحانه.

السُّنَّة الإلهيَّة في آيات السورة:

يقول الله تعالى: ﴿۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ (يونس:11) يقول ابن عطية في تفسيره: "فأخبر الله تعالى أنه لو فعل مع الناس في إجابته إلى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم"[2]، ولكنّه لا يفعل ذلك سبحانه لحلمه وحكمته، وهذه سُّنة الله في خلقه في أنه يمهل ولا يهمل، ولعل قصة قوم نوح عليه السلام الواردة في السورة شاهد على سّنة إمهال الظالمين، فبعد أن دعاهم نوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عامًا أغرقهم الله.

تنزيل السُّنة على الواقع:

بيّن رشيد رضا صورتها التي يمكن أن تكون عليها وفي أيّ حال، فذكر أنه يدخل في هذا دعاؤهم على أنفسهم في حال اليأس، ودعاء بعضهم على بعض في حال الغضب[3]، قال مجاهد: "قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: "اللهم لا تبارك فيه والعنه""[4] وهذا مشاهد اليوم كثيراً، ولولا رحمة الله ولطفه بعباده لهلكوا، لكن سُنته تقتضي إمهالهم لعلهم يرجعون إليه.

الهدايات من السُّنة الإلهيَّة:

1. العجلة غريزة في الإنسان، لقول الله: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ (الإسراء:11)[5].
2. التنبيه إلى ضرورة التأني وعدم التسرع خاصة في حالة الغضب.

---

1 المصدر نفسه، ج2، 452.

2 ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج3، ص108.

3 ينظر: المصدر نفسه، ج11، ص256.

4 مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي، **تفسير مجاهد**، ص379.

5 ينظر: محمد محمود حجازي، **التفسير الواضح**، ج2، ص45.

3. التذكير بضعف الإنسان وعدم علمه بما هو خير أو شر له، والله هو الأعلم بمصالح عباده.

4. لطف الله ورحمته بعباده في عدم إجابة دعائهم على أنفسهم وأولادهم بالشر[1].

المطلب الثالث: سنة الابتلاء

سُنّة الله في الابتلاء هي إحدى السنن الإلهية في الحياة، والتي تعني أن الله يمتحن عباده بمختلف أنواع الأزمات والمحن؛ ليتميز الصادق من الكاذب، يقول تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ (العنكبوت:2، 3)، فسنّته سبحانه في عباده أن يبتليهم بالفقر أو الغنى، والمرض أو الصحة، والنعم أو النقم، ونحو ذلك من الفتن، كل هذا داخل في قضاء الله وقدره، كما جاءت به السورة.

السُّنة الإلهيَّة في آيات السورة:

ما جاء في قوله تعالى في الآية الثانية عشرة من السورة: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا ﴾ ففيها الضراعة إلى الله في كل حال[2]، ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥ﴾ أي: داوم على ما كان عليه قبل أن يصيبه الضّرّ، وترك شكر ربه الذي فرّج عنه ما نزل به من بلاء[3]، فلم ينجح فيما امتُحن فيه، فالغرض الأهم من في هذه الآية والتي سبقتها من إمهال الله الظالمين هو الاعتبار بذميم أحوال المشركين تشنيعًا لحالهم وتحذيرًا من الوقوع في أمثالها بقرينة تذييل هذه الآية بجملة ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[4].ومن الآيات أيضًا قوله الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ۝٢١﴾ (يونس:21)، فضرب الله مثلًا على هؤلاء بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾ تتضمن تعديد النعمة قبل نزول البلاء، ثم ﴿ جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ أي إذا مسّهم الضر في البحر أخلصوا الدعاء لله ونسوا الأصنام والشركاء ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ﴾ أي: لما أنجاهم أخلفوا الله ما وعدوه، فصاروا يكفرون

---

1 ينظر: جماعة من علماء التفسير، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، ص209.

2 ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج3، ص109.

3 ينظر: الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج15، ص36-37.

4 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج11، ص109.

ويفسدون[1]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣ ﴾ أي فيجازيكم على أعمالكم في الآخرة، ومن ذلك يمكن التنبه على أن السُّنن قد تتداخل في ما بينها. ونلحظ في هذه الآية بيان صريح لكون المشركين كانوا لا يدعون في أوقات الشدائد إلا الله ربهم وخالقهم[2]، وهذا ما تناولته السورة في مواضيعها كونها سورة مكيّة تتحدث عن توحيد الله تعالى.

ولما عرضت السورة أمثلة على من ابتُلي و لم ينجح في الاختبار، ترجع بنا الذاكرة إلى قصة نبي الله يونس عليه السلام – اسم السورة- عندما ابتُلي في بطن الحوت، بعدما خرج مغاضبًا، يائسًا من هداية قومه، لكنّه صبر، وسبّح واستغفر الله، فنجاه الله من الغم، دلالة على اجتيازه هذا الاختبار، يقول الله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ (الأنبياء:87-88).

تنزيل السُّنة على الواقع:

يقول رشيد رضا في مشهد واقع مشابه لما جاء في الآيات مع اختلاف شاسع فيمن يلجؤون إليه عند نزول البلاء: "وقد سمعت من كثير من الناس في مصر وسورية حكاية يتناقلونها...، وملخصها أن جماعة ركبوا البحر فهاج بهم حتى أشرفوا على الغرق فصاروا يستغيثون معتقِديهم، فبعضهم يقول: يا سيد يا بدوي، وبعضهم يصيح يا رفاعي، وآخر يهتف: يا عبد القادر يا جيلاني...إلخ وكان فيهم رجل موحّد ضاق بهم ذرعاً فقال: يارب أغرق أغرق، ما بقي أحد يعرفك"[3].

وإنّ لنا في أحداث غزة نموذجًا مشرفًا، ودروسًا وعبرًا في صبرهم، وتحملهم، وجهادهم، أطفالًا، وشيوخاً، ونساءً، وشبانًا؛ فما يحصل اليوم في غزة من إبادة جماعية لا يستطيع تحملها أي أحد إلا من رسخ الإيمان في قلبه رسوخًا يظهر على جوارحه، فهذا ابتلاء وتمحيص، وهي سنة من سنن الله في خلقه، ولابد من اتخاذ كل الوسائل المعينة على النصر والتمكين[4].

---

1 ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج15، ص53،51، وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج3، ص112-113..

2 ينظر: محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج11، ص277.

3 المصدر نفسه، ج11، ص277.

4 "وعلى ضوء سُنَّة التمحيص تتحقق سُنَّة أخرى، وهي سُنَّة التمكين، إذ يمكن الله عز وجل للمؤمنين في الأرض بعد أن يثبتوا جدارتهم واستحقاقهم للنصر بلجوئهم إليه وحده في وقت المحنة، وتجردهم له، وتطلعهم إليه في زمن الشدة، مستيقنين من نزول نصره بعد الأخذ بكافة الأسباب المأمور بها شرعًا من صبر وتقوى وإعداد. وقد أدرك أهل العلم والبصيرة هذه

الهدايات من السُّنة الإلهيَّة:

1. أن الكافر يدعو الله عند الشدة، فإذا نجاه عاد إلى الكفر به كأن لم يكن يعرفه[1].
2. بيان ضعف الإنسان وفقره إلى الله وحاجته إليه[2].
3. بيان أن الدعاء لا يرتبط بوضع معين؛ فالإنسان يلجأ إلى الله في أي حال يكون فيه.
4. إخلاص العبد الدعاء في حال الشدة دليل على أصالة التوحيد[3].
5. حال المشركين الأولين أحسن من جهلة هذه الأمة؛ إذ يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، أما جهال المسلمين اليوم فشركهم في الرخاء والشدة على السواء[4].

المطلب الرابع: سنة الله في الرزق

إن من قوانين الله في الرزق الإيمان بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين لا غيره، فهو سبحانه الوحيد الذي يملك القدرة على منح الرزق لعباده لا شريك له، وبالتالي يُطلب الرزق منه وحده دون غيره، وسورة يونس تناولت هذا الجانب من قوانين الرزق لتعلق موضوعها بأصول العقيدة.

السُّنة الإلهيَّة في آيات السورة:

في الآية الحادية والثلاثين احتجاجٌ على المشركين باعترافهم بوحدانية الله وربوبيته على وحدانيته الإلهيَّة[5]، فيقول تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بإنزال المطر من السماء، وإخراج النبات من الأرض؛ لتأكلوا منه أنتم وأنعامكم، ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ أي من يملك حفظهما من الآفات؟[6]، ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ ﴾ كإخراج الأشجار والنبات من الحبوب والنوى، وإخراج المؤمن من الكافر،

الحقيقة، فعندما سئل الإمام الشافعي رحمه الله : "أيما أفضل للرجل: أن يمكّن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكّن حتى يبتلى"، ينظر: مجموعة من المؤلفين، **العلم بالسُّنن الربانية، مجلة البيان**، ع115، ص50.

1 أبو بكر الجزائري، **أيسر التفاسير**، ج2، ص455.

2 ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص462.

3 ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص462.

4 ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص462.

5 ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص266.

6 ينظر: محمد محمود حجازي، **التفسير الواضح**، ج2، ص59.

والطائر من البيضة...إلخ، ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ عكس هذه المذكورات، ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ﴾ وهذا شامل لجميع أنواع التدابير الإلهيَّة، فإنك إذا سألتهم عن ذلك ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1].

تنزيل السُّنَّة على الواقع:

إذا كان الله هو "الرزاق" فينبغي على العبد أن يطلب الرزق منه لا من غيره، كما يفعل بعض الـــذين يدَّعون الإسلام من دعاء أصحاب القبور لجلب نفع، كسؤالهم الولد، أو لدفع ضرّ، كالشفاء من مرض، وهذا والعياذ بالله شرك أكبر مخرج من الملة[2].

الهدايات من السُّنة الإلهيَّة:

1. مشركو العرب كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية ويشركون في الألوهية[3].
2. لا ينفع الإيمان بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية[4].
3. الاستدلال بالأدلة العقلية على وجود الله.
4. طلب جلب النفع أو دفع الضر من المقبورين شرك أكبر مخرج من الملة.
5. فيه دعوة للتفكر والعودة إلى الله والالتزام بما أمر به والابتعاد عما نهى عنه.

المطلب الخامس: سّنة الهداية والضلال

إن القرآن هو خارطة الطريق المستقيم الموصل إلى جنات النعيم، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الدليل الذي دلّنا على كل ما فيه خير، فمن اختار طريق الهدى وسار عليه، فاز بالجنان، ومن اختار طريق الضلال وسار عليه، خسر أشد الخسران، فهذه سُنّة من سنن الله تعالى في خلقه.

السُّنة الإلهيَّة في آيات السورة:

يقول سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨﴾ (يونس:108)، يقول الطبرّي رحمه الله:" يعني: كتاب الله، فيه بيان كل

---

1 السعدي، **تفسير السعدي**، ص363.

2 ينظر: ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، **مجموع فتاوى ورسائل العثيمين**، ج2، ص163.

3 ينظر: أبو بكر الجزائري، **أيسر التفاسير**، ج2، ص479.

4 ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص479.

ما بالناس إليه حاجة من أمر دينهم"[1]، ويقول تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (يونس:40) أي: ومنهم من يؤمن بالقرآن، ويعمل بما فيه، ومنهم من لا يؤمن به ويموت ويبعث على ذلك، والله أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ومن يستحق الضلالة فيضله، وهو العادل الذي يعطي كلًا ما يستحقه[2]، وفي ذلك ضربت السورة مثالين: مثالا لفرعون الذي طغى وتجبر، فهلك هو وقومه، مع تلفظه بكلمة الإيمان عند معاينة العذاب، والمثال الآخر لقوم يونس عليه السلام الذين كذّبوا رسولهم في أول الأمر، ثم آمنوا بعد معاينة العذاب، فقُبل منهم ورفع عنهم العذاب، فأين هي سنة الله في الهداية والضلال هنا؟! نقول هنا يتجلى معنى الإيمان بالقضاء والقدر، فالكل داخل تحت مشيئة الله الحكيم، فهو يعلم من يستحق الهداية وسيستمر عليها ممن لا يستحقها[3].

تنزيل السّنة على الواقع:

نرى كثيراً ممن سلك طريق الضلال عند نصحه يتعذر بإن الله لم يهدِه بعد!، فهو يجهل أن الهداية نوعان: هداية الدلالة والإرشاد وهي ما دلّنا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهداية التوفيق للعمل، وهذه بيد الله تعالى لا يملكها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا غيره[4]، فالموفق هو من يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والآيات التي أُرشد إليها[5].

الهدايات من السنة الإلهيَّة:

1. بيان أن الدعوة شاملة لجميع البشر.

---

1 ا الطبري، **جامع البيان**، ج15، ص220.

2 ينظر: ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج4، ص270.

3 يقول السعدي رحمه الله: "والحكمة في هذا ظاهرة فإن الإيمان الاضطراري ليس بإيمان حقيقة ولو صرف عنه العذاب والأمر الذي اضطره إلى الإيمان لرجع إلى الكفران وقوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ بعدما رأوا العذاب ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فهم مستثنون من العموم السابق...، وأما قوم يونس فإن الله علم أن إيمانهم سيستمر بل قد استمر فعلا وثبتوا عليه والله أعلم" ينظر: السعدي، **تفسير السعدي**، ، ص374

4 ينظر: ابن عثيمين، **مجموع فتاوى ورسائل العثيمين**، ج11، ص72.

5 سعيد حوّى، **الأساس في التفسير**، ج7، ص4100، قال تعالى: : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ (يونس:9) قد استدللت بهذه الآية على سُنَّة الجزاء على الأعمال، ويمكن الاستدلال بها أيضاً على سُنَّة الهداية والضلال، فكما ذكرت أن السُّنن تتداخل، فهي مكملة لبعضها البعض، فنجد في الآية هداية الله لهم هداية التوفيق إذا آمنوا وعملوا بمقتضى هذا الإيمان.

2. وجوب اتباع ما تضمنه القرآن والسنة الصحيحة؛ حتى تحصل الهداية[1].
3. بيان أن كل إنسان له حرية الاختيار، وهو مسؤول عنه.
4. الهداية نوعان: هداية الدلالة والإرشاد، وهداية توفيق.
5. هداية الدلالة بدون توفيق للعمل بها، ليست هداية حقيقية[2].
6. مهمة الرسول هي البلاغ فقط، وليس مسؤولًا عن أفعال الناس.

1 ينظر: أبو بكر الجزائري، **أيسر التفاسير**، ج2، ص479.
2 ينظر: السعدي، **تفسير السعدي**، ص40.

الخاتمة

برزت من خلال البحث مجموعة من النتائج والتوصيات أعرضها فيما يأتي:

النتائج

1. تعددت وجوه استعمال لفظ "السُّنَّة" في اللغة، و لم يخرج المفسرون في اصطلاحهم عن معناه اللغوي.
2. السُّنن الإلهيَّة وسيلة لتحقيق مقصد الاهتداء الذي أُنزل القرآن من أجله.
3. استنبطت بعض أهم السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس عليه السلام وهي: الأولى: سُنَّة الجزاء على الأعمال. الثانية: سُنَّة إمهال الله الظالمين. الثالثة: سُنَّة الله في الابتلاء. الرابعة: سُنَّة الله في الرزق. الخامسة: سُنَّة الهداية والضلال.
4. القصص القرآني غني بالدروس والعبر؛ فهو يُسهم في نشر القيم من خلال إبراز السُّنن الإلهيَّة.
5. سورة يونس عليه السلام جاء فيها قصة قوم نوح عليه السلام وإمهال الله لهم، وقصة ضلال فرعون وقومه وكيف كانت نهايتهم، وختمها بهداية قوم يونس عليه السلام في آخر أمرهم. فإدراك ذلك يحتاج إلى معرفة سُنن الله في خلقه؛ ليحصل بها الاتعاظ والاعتبار. ينظر الرسم البياني رقم (1).
6. بيّنتُ العلاقة بين السُّنن الإلهيَّة المستنبطة من السورة ومواضيعها، فسُّنة الجزاء على الأعمال تتعلق بقضية البعث والجزاء، وسّنة إمهال الله الظالمين مرتبطة بحكمة الله ورحمته بعباده، وسّنة الابتلاء ترجع إلى مسألة الإيمان بالقضاء والقدر، وفيها إفراد الله بالدعاء عند الشدة، وسّنة الله في الرزق داخلة في توحيد الربوبية التي تستلزم توحيد الألوهية، وأما سّنة الهداية والضلال لابد فيها من الأخذ بالأسباب المعينة على الهداية باتباع الوحي، مع الإيمان بأن التوفيق من الله وحده. ينظر الرسم البياني رقم (1).
7. ألقيت الضوء على كيفية تنزيل هذه السُّنن على واقع الحياة المعاصرة، حيث يمكن الاستفادة منها في التعامل مع مجريات الأحداث.
8. استخرجت أهم الهدايات من هذه الآيات المتضمنة للسُّنن؛ فهي تُساعد في استيعاب مقاصد القرآن والعمل على تحقيقها.

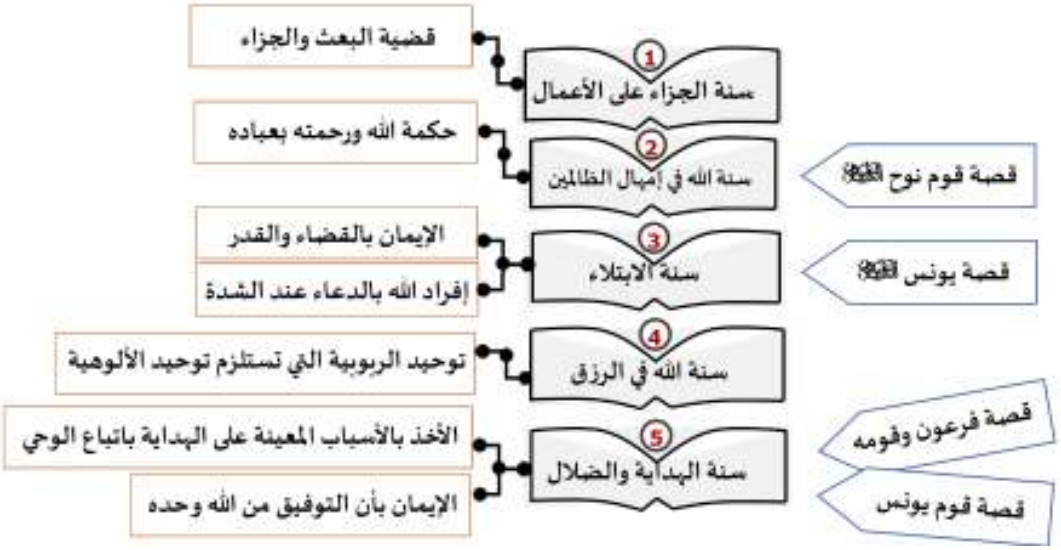

رسم بياني رقم (مُحَرَّمٌ):

التوصيات

- استكمال دراسة السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس عليه السلام.
- دراسة السُّنن الإلهيَّة في بقية السور.
- دراسة القصص القرآني من منظور السُّنن الإلهيَّة؛ فهو يُعد ميدانًا واسعًا لاستخلاص السُّنن الإلهيَّة وتطبيقها على واقع الحياة.

هذا ما تيسر لي تحصيله من دراسة السُّنن الإلهيَّة في سورة يونس عليه السلام، **فإن يكن صوابًا فمن فضل الله، وتوفيقه، وإن كانت الأخرى، فمن تقصيري فأستغفر الله.** والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Abdul Bāqī, M, *Al Mu‧jam al Mufahras Li‧alfāẓ al Qur‧ān*, (Mi‧r: Dār al Kutub, 1st ed, 1945).

[2] Al ‧Āmidī, A, *al I‧kām Fī U‧ūl al A‧kām*, (Beyrūt, Al Maktab al Islāmī, 2nd ed, 2003).

[3] Al ‧askarī, A, *al Furūq al Lughawiyyah*, (Al Qāhirah, Dār al ‧ilm, 3rd ed, 2004).

[4] Al Bukhārī, M, *‧a‧ī‧ Al Bukhārī*, (Beyrūt, Dār Al Kutub Al ‧Ilmiyyah, 2nd ed, 2002).

[5] Al ‧Isnawi, H, *Nihāyat al-‧ūl Fī Sharhi Minhāj al-Wu‧ūl ‧Ila 'IIm al-‧Uṣūl*, (Beyrūt, Dār Ibn ‧azm, 1st ed, 1999).

[6] Al Muthannā, A, *Majāz Al Qur‧ān*, (Mi‧r, Maktabah al-Khānijī, 3rd ed, 2004).

[7] Al Qarāfī, A, *Anwār Al Burūq Fī Anwā‧ Al Furūq*, (Beyrūt, ‧Alim Al Kutub, 3rd ed, 2006).

[8] Al- Tirmithiy, Abu ‧isa, *Al- Jāmi‧u Saḥīh Sunan Al- Tirmithiy*, (Beirūt: Dārul Ihiya, 1st ed, 1975).

[9] Al‧ākim, A, *Almustadrak ‧ala Aṣ aḥihayn*, (Beyrūt: Dār Alkutub Al‧ilmiyyah, 1st ed, 1990).

[10] Almatūrīdī, A, *Ta‧wīlāt Ahl Assunah*, (Beyrūt: Dār Alkutub Al‧ilmiyyah, 1st ed, 2005).

[11] Ar- Rāzī, ‧A, *Mukhtār A‧-‧i‧ā‧*, (Beyrūt, Al Maktabah Al ‧Aṣ riyyah, 1st ed, 1999).

[12] Ashanquītī, Mu‧ammad Al-‧Amīn, *Adhwa‧al Bayān Fī I‧āḥ al Qur‧ān Bilqur‧ān*, (Beirūt: Darul Fikr, 1st ed, 1995).

[13] A‧-‧abarī. M, *Jāmi‧ al Bayān ‧An Ta‧wīl al Qur‧ān*, (Giza, Dār Hajr, 3rd ed, 2001).

[14] ‧Abdullāh ar-Rāzī, *Mukhtār a‧-‧i‧ā‧*, Ta‧qīq: Yūsuf al-Shaykh, (Beirūt: al-Maktabah al-‧Aṣ riyyah, 5th ed, 1999).

[15] A‧mad bin ‧anbal, *al-Musnad*, Ta‧qīq: Shu‧ayb al-‧ana‧ū‧, (Beirūt: Mu‧assasah ar-Risālah, 1st ed, 2001).

[16] Al-Jūzū Muḥammad ‧Aliyy, *Mafhūm al-‧Aql wa al-Qalb fī al-Qur‧ān wa as-Sunnah*, (Beirūt: Dār al-‧Ilm lilmalāyīn, 1st ed, 1980).

[17] Farūk Sayyid ‧Uthnmān, *al-Qalaq wa ‧Idārat al-‧ughū‧ an-Nafsiyyah*, (Beirūt: Dār al-Fikr al-‧Arabiyy, 1st ed, 2001).

[18] ‧Imād Az-Zaghūl, *Mabādi‧ ‧Ilm An-Nafs at-Tarbawiyy*, (al-‧Ayn University: Dār al-Kitāb al-Jāmi‧ī, 2nd ed, 2004).

[19] Mu‧ammad at-Terinji, *al-Mu‧jam al-Mufa‧‧al fī al-‧Adab*, (Beirūt: Dār al-Kutub al-‧Ilmiyyah, 2nd ed, 1999).

[20] Muḥ ammad Bin ‧ Isā al-Tirmidhiyy, *Sunan al-Tirmidhiyy*, (Egypt: Maṭ ba‧ ah Mu‧ tafā al-Bābī al-‧ alabī, 2nd ed, 1975).

[21] Mu‧ ammad Mūsā al-Sherīf, *al-‧ Ā‧ ifah al-‧ Imāniyyah wa ‧ Ahamiyyatuha fī al-‧ A‧ māl al-‧ Islāmiyyah*, (Jaddah: Dār al-‧ Andalus, 1st ed, 2001).

[22] Al‧ ākim, A, *Almustadrak ‧ ala Aṣ aḥ ihayn*, (Beyrūt: Dār Alkutub Al‧ ilmiyyah, 1st ed, 1990).

[23] Almatūrīdī, *A, Ta‧ wīlāt Ahl Assunah*, (Beyrūt: Dār Alkutub Al‧ ilmiyyah, 1st ed, 2005).

[24] Ar- Rāzī, ‧ *A, Mukhtār A‧ - ‧ i‧ ā‧* , (Beyrūt, Al Maktabah Al ‧ Aṣ riyyah, 1st ed, 1999).

[25] Ashanquītī, Mu‧ ammad Al- ‧ Amīn, *Adhwa‧ al Bayān Fī I‧ āḥ al Qur‧ ān Bilqur‧ ān*, (Beirūt: Darul Fikr, 1st ed, 1995).

[26] A‧ - ‧ abarī. M, *Jāmi‧ al Bayān ‧ An Ta‧ wīl al Qur‧ ān*, (Giza, Dār Hajr, 3rd ed, 2001).